فرج طه : كما أعرفه

د . فرج عبد القادر طه

أستاذعلم النفس
كلية الآداب - جامعة عين شمس
وعضو المجمع العلمى المصرى

أبدأ بشكر خاص أوجهه إلى القائمين على تنظيم المؤتمر السادس عشر لعلم النفس فى مصر والمؤتمر العربى الثامن لعلم النفس ، لتوجيههم الدعوة لى لإلقاء نبذة عن سيرتى الذاتية والعلمية . وأذكر أنى طلبت من أستاذى المرحوم الدكتور لويس كامل مليكة قبل وفاته ببضع سنين أن يكتب لنا مقالا بعنوان « لويس مليكه كما أعرفه » لكى أنشره تكريما له فى أحد أعداد « مجلة دراسات نفسية »، التى كنت أشرف برئاسة تحريرها آنذاك ؛ ورغم إلحاحى عليه، إلا أنه استمر فى الرفض ، وتجاهل رغبتى تلك . فرأيت أن أستفيد من اقتراحى هذا العنوان وأنسخ على منواله عنوانا لموضوع حديثى هذا .

ولدت فى الأول من شهرمايو عام ١٩٣٧ ؛ والأول من مايو - كما هو معروف - عيد العمال ؛ لأم أمية لاتعرف القراءة ولا الكتابة، وأب فلاح حفظ القرآن الكريم فى كتاب القرية، ويجيد القراءة والكتابة ومبادئ الحساب . يزرع أرضه بنفسه، ويساعده فيها أجير ، وأحيانا إثنان بشكل دائم ، وقت أن كان ذلك ميسورا حتى بدايات الخمسينيات. ومع تزايد عدد الأبناء، وضيق ذات اليد ، وتغير الظروف الاجتماعية فى القرية أصبح أبناؤه هم مساعديه فى الفلاحة مع الاستعانة أحيانا بأجير ليوم أو أكثر . وكان الأب فقيرا لايملك اكثر من ثلاثة أفدنة فى إحدى قرى المنوفية (فيشا الصغرى - مركز الباجور) ، وهى على كل حال كانت تعتبر ثروة؛ نظراً لضيق الرقعة الزراعية بالمنوفية مقارنة بكثافتها السكانية.

ولما كُنت أكبر أبنائه الذين تعدوا العشرة، فقد كنت مساعده الرئيسى فى أعمال

* كتبت هذه الكلمة بعد ألقيت مضمونها في جلسة « مع رواد علم النفس في مصر » يوم ٢٦ يناير من عام ٢٠٠٠ والتي عقدها « المؤتمر السادس عشر لعلم النفس في مصر » بكلية التربية بالسويس جامعة السويس (يناير ٢٠) . مع « المؤتمر العربي الثامن لعلم النفس »

الفلاحة والزراعة. وهكذا ظللت أمارس كافة الأعمال المتنوعة التى يمارسها المزارع العادى سواء فى الحقل أو البيت ، فى الأجازات الصيفية وغيرها ، حتى تخرجت فى الجامعة . وأذكر أن والدى - رحمه الله - كان يشير على فى كل الأمور الهامة، ويناقشنى فيها ، فأقتنع برأيه أو أقنعه برأيى، وذلك منذ بلوغى سن الثالثة عشرة تقريبا. بل كان شديد الحرص على اقناعى بما يريد عمله أو ينوى الإقدام عليه ، وكأنه كان يحاول جاهدا أن يغرس فىّ الثقة بالنفس وتنمية الذات . وتقدير الرأى واستقلالية الرؤية واحترامها . وظللت مع أبى صديقين نتبادل المشورة إلى أن توفاه الله فى يونيو من عام ١٩٨٩ ؛ بعد أن استمكل الثالثة والثمانين بيومين اثنين ، وبعد أن استكملت الواحدة والخمسين باكثر من شهر.

ومع كثرة أبناء الوالد الذكور وزيادتهم عن العشرة ، وفى ظروف الفقر النسبى الذى كان يعيش فيه ، إلا أنه كان من الوعى والرغبة لوصول أبنائه جميعا إلى أعلى مراحل التعليم ، حتى أن من لم يحصل تعليما رسميا منهم لعدم توفيقه فى التعليم كان يحاول معه نقله إلى مدارس أخرى، ولم يتعلم منهم تعليما متوسطا إلامن فشل فى التعليم الثانوى العام ، أما من نجح منهم فى التعليم العام فقد تابعه حتى تخرج من الجامعة. فكان يستدين ، ولايبالى ببيع قراريط من أرضه القليلة للإنفاق على تعليم أبنائه. حتى أنك تجد الآن من بينهم الطبيب البشرى ، والطبيب البيطرى ، والمهندس، والمدرس... والفلاح الذى ورث مهنة والدنا ولايزال يسكن داره، ويفلح أرضه. ولعل هذه ظاهرة تمتاز بها محافظة المنوفية مقارنة بغيرها من المحافظات ، نظرا لضيق رقعتها الزراعية على أهلها ، حتى ليصبح التعليم فيها هو المتنفس الآمن لمواصلة العيش الكريم ، والمستقبل المأمون.

وهكذا ؛ أدخلنى والدى مدرسة القرية الأولية والوحيدة حينذاك عام ١٩٤٤ بسنتهاالأولى (أى فى سن السابعة) . وكان سن الإلزام فى ذاك الوقت . فكان ذلك بداية تعليمى ، حيث إنى لم أدخل كتاب القرية قبل ذلك إعتمادا وإنتظارا للتعليم المدرسى الإلزامى. وبعد ثلاثة أعوام دراسية بمدرسة فيشا الصغرى الأولية كان والدى قد اقتنع خلالها بضرورة تعليمى بالمدارس الابتدائية حيث فرصة التعليم المفتوح حتى التخرج من الجامعة ، مقارنة بالتعليم الأولى الذى كان يتوقف عند السنة السادسة منه. ولم يكن التعليم الإبتدائى يتوافر فى القرى بل فى المدن والمراكز الحضارية . ولهذا تقدمت فى صيف عام ١٩٤٧ إلى السنة الثانية بمدرسة وادى النيل الإبتدائية بشبرا بالقاهرة ، وكان علىّ للقبول بها أن اجتاز إمتحان قبول ، أخذت

دروسا بسيطة له، ووفقت فيه. وهكذا انتقلت دراستى من القرية ذات التعليم المنغلق إلى القاهرة ذات التعليم المفتوح ؛ وهى نقلة نوعية فى التعليم ، حيث تدرس اللغة الانجليزية بشكل رسمى فيه اعتبارا من السنة الثالثة الإبتدائية . ولقد كنت متفوقا إلى حد كبير فى التعليم الابتدائى ، حتى أنى كثيرا ماكنت أحصل على ترتيب « الأول » بين زملائى فى إمتحانات الفترات وإمتحانات نهاية العام .

وفى عام ١٩٥٠ حصلت على الشهادة الابتدائية ، وهى على المستوى الرسمى لسنوات التعليم الحالى تعادل الانتقال من السنة الأولى الاعدادية إلى السنة الثانية. ثم انتقلت إلى مدرسة الأميرفاروق الثانوية بروض الفرج بالقاهرة، والتى سميت بمدرسة روض الفرج الثانوية بعد قيام ثورة يوليو١٩٥٢ ؛ ويتصادف أن تقع هذه المدرسة أمام شارع يسمى باسم « شارع عبد القادر طه » . وكان التعليم الثانوى آنذاك خمس سنوات ينتهى بالشهادة التوجيهية العامة فى نهاية السنة الخامسة الثانوية ، والتى كانت تسبقها شهادة الثقافة العامة (وكانت شهادة عامة) على المستوى الرسمى أيضا ، تمنح لمن يجتازون الامتحان العام فى نهاية السنة الرابعة الثانوية ؛ ولم يكن نظام التعليم الاعدادى قد عرف بعد . وهكذا ؛ حصلت على شهادة « الثقافة العامة » فى عام ١٩٥٤ ، وفى العام التالى ١٩٥٥ على « التوجيهية العامة » – القسم الأدبى ، وهو الذى يؤهل للإلتحاق بكلية الآداب.

وإذا كان التعليم الإبتدائى بمثابة نقلة كيفية بالنسبة لى– كما سبق أن أشرت– ونقلة اجتماعية فى الوقت نفسه ، حيث انتقلت من القرية التى شهدت طفولتى حتى سن العاشرة إلى مدينة القاهرة باتساعها وصخبها وتعقد مظاهر الحياة فيها؛ فإن النقلة الكيفية الكبرى الثانية فى حياتى قد تمت فى بدايات مرحلة تعليمى الثانوى . فمنذ أوائل الخمسينيات توثقت علاقتى بزميل وصديق لى منذ مرحلة التعليم الأولى هوعبد الرازق علام والذى كان يسبقنى فى الدراسة الأولية ، كما كان يكبرنى فى السن بحوالى ثلاث سنوات ، إلا أنه كان أنضج زملائه وأصدقائه جميعا . كانت هوايته الأولى القراءات الأدبية المتنوعة ما بين شعر ونثر ، وقصة ورواية ، ومقالة وتحليل ، وإسلاميات وتاريخ ... مع اقتناء كل ما يستطيعه لكبار المؤلفين أمثال شوقى، وحافظ، وطه حسين ، والعقاد، والزيات، والرافعى ، والمنفلوطى ، والمازنى، وهيكل ... ولقد نجح فى نقل هذه العدوى إلىّ ؛ سواء قراءة أو اقتناء . فكنا نتبادل (عبد الرازق علام – هذا الزميل العزيز وأنا) قراءة ومناقشة مانملك من تلك المؤلفات ، كما كان يكلفنى بشراء بعضها من « سور الأزبكية» ؛ حيث كانت هوايتى المفضلة تلك الأيام هى قضاء

الساعات الطويلة – كل أسبوع أحيانا – أستعرض فيها وأشترى وأساوم باعة الكتب القديمة على هذا السور بقروش زهيدة ، وكنت تجد أمهات الكتب وأقيمها معروضة لدى تجار هذا السور ذى السمعة الشهيرة في مصر كلها . وكان من نتيجة هوايتى القراءة والاطلاع والإقتناء هذه أن توجهت إلى الدراسات الإنسانية بكل طاقتى وميولى ، مما ساعدنى على أن أحقق فيها شيئا أحمد الله عليه؛ وساعدنى أيضا على تنمية الاستعداد للكتابة والتأليف ، اللذين كانا يمثلان لى أملا براقا تبدو أمامه الآمال الأخرى شاحبة باهتة ، ضعيفة القيمة والأهمية .

وفى مرحلة الدراسة الثانوية وسابقتها الابتدائية ، ولاحقتها الجامعية؛ كنت أقضى الاجازة الصيفية كاملة بقريتى التى كنت شديد الحنين إليها وأنا أتلقى تعليمى فى القاهرة ، بل كنت أنتهز فرص الاجازات أثناء العام الدراسى لقضائها بالقرية، مما كان يضاعف متعتى بالاجازة ، ولازالت هذه العادة تلازمنى حتى الآن ، فلا يكاد يمضى أسبوعان أو ثلاثة إلا وأذهب إلى القرية لقضاء يومين أو أكثر ؛ فإن غبت عن القرية مدة أطول ، أحسست وكأن السنين مضت دون أن أراها فيشتد حنينى إليها وإلى أهلها – أهلى – بل إنى لأجد متعة خاصة فى رؤية مزروعاتها المختلفة فى كل مرحلة من مراحل نموها . ولقد تصادف أن عينت بالخرطوم (فرع جامعة القاهرة بالسودان) فى النصف الثانى من الستينيات قبل إنتقالى إلى جامعة عين شمس فى نهاية الستينيات ، فحرمت بذلك من رؤية قريتى وقت حصاد محصول « الذرة »؛ حيث كانت الأجازة الصيفية لفرع جامعة القاهرة بالخرطوم تنتهى قبل هذا الوقت ولازلت حتى الآن أتذكر مقدار لهفتى وحنينى إلى رؤية قريتى فى هذا الوقت بالذات.

ولما كانت أسرتى فقيرة كثيرة الأبناء ، وكنت أكبرهم ، فقد تطلعت إلى التوظف بشهادة الثقافة العامة أو التوجيهية العامة ، فأخفف عن أبى عبء مصاريفى، وأساعده فى تربية إخوتى إن استطعت . وتصادف أن أعلن « ديوان الموظفين » عن حاجة وزارات الدولة ومصالحها إلى تعيين كتبة وسكرتاريين بعد نجاحهم فى امتحان يجريه ديوان الموظفين ؛ حدد له مدنا كثيرة يتم فيها فى نفس الوقت ممن يتقدم من حملة « الثقافة العامة » أو « التوجيهية العامة » ، وكان ذلك فى أوائل عام ١٩٥٥ ، حيث لم أحصل على شهادة التوجيهية بعد ، وإن كنت حاصلا على شهادة الثقافة العامة . فتقدمت للامتحان ضمن آلاف كثيرة ، ووفقت فيه ، وجاء تعيينى بالصحة القروية بمدينة سوهاج . وبدأت استعد للكشف الطبى واستلام

الوظيفة؛ آملا فى استكمال تعليمى الجامعى عن طريق الانتساب للجامعة من الخارج. إلاأن والدى – رحمه الله – اعترض بشدة على ذلك مبينا لى أن الوظيفة ستشغلنى عن استكمال دراستى وتعطلنى ؛ وقد تغرينى بالانصراف كلية عنها . وأبدى استعداده لبيع أجزاء من أرضه للصرف على تعليمى وتعليم إخوتى ، حتى لو ضحى بها كلها . وبالفعل باع وقتها قرابة فدان مما يملك على أجزاء، حيث كان ثمن القيراط وقتهاحوالى عشرين جنيها ، وهو بسعر اليوم حوالى أربعة آلاف جنيه . ويتعجب الفرد من وعى وإصرار فلاح تتمثل كينونته أساسا فى كل ما يملك من أرض زراعية أن يكونا بهذا القدر.

وتظهر نتيجة امتحان شهادة التوجيهية العامة عام ١٩٥٥ وأتقدم إلى مكتب تنسيق الجامعات برغبتى الأولى فى الالتحاق بكلية الآداب – جامعة عين شمس الكائنة بحى شبرا ، والذى أسكن فيه أثناء تعليمى الابتدائى والثانوى ؛ فأقبل . وأتقدم إلى الكلية باختيارى لقسم الدراسات النفسية والاجتماعية للدراسة به تمهيدا للتخصص فى علم النفس ، حيث كانت الدراسة به فى السنتين الأولى والثانية مشتركة بين تخصص علم الاجتماع وعلم النفس، وعلى الطالب أن يختار دراسة السنتين الثالثة والرابعة إما متخصصا فى شعبة علم النفس أو شعبة علم الاجتماع . وكانت الدراسة فى شعبة علم النفس هذه بجامعة عين شمس هى الدراسة المتخصصة الوحيدة بالجامعات المصرية فى علم النفس ؛ وقد ظلت كذلك قرابة عقدين من الزمان . ولقد تصورت الأمر منتهيا بالورقة التى تقدمت بها لدخول قسم الدراسات النفسيه والإجتماعية ، وقضيت بعدها بضعة أيام فى القاهرة ، ثم رأيت– طالما بقيت عدة أيام على بدء الدراسة –أن أقضيها فى القرية . وكان الموقف الذى أركب منه مواصلتى إلى القرية مجاورا للكلية التى قبلت فيها فمررت على الكلية قبل أن أركب المواصلة ، وإذا بى أجد إعلانا كبيرا بجوارمدخلها يحدد يوما معينا (وكان قريبا) لعقد اختبار قدرات واستعدادات لقبول من يرغبون دخول قسم الدراسات النفسية والاجتماعية . وهكذا تنقذنى الصدفة وحدها من ضياع فرصة تخصصى فى علم النفس.

كنت– ولازلت أذكر أساتذتى بالمدرسة الأولية وبالمدرسة الابتدائية وبالمدرسة الثانوية . واتخذ قدوة مثلى من شخصياتهم ، وأخلاقهم ، وضمائرهم المهنية ، وتفانيهم فى عملهم ، وإنكارهم لذواتهم ، وتشجيعهم لتلاميذهم ، ومساندتهم لهم ، والحرص على مصلحتهم ومستقبلهم ودعمهم بكل ما يستطيعون ، دون أدنى مصلحة أنانية ضيقة يبتغونها وراء ذلك . فلازلت أذكر – والدروس الخصوصية غير معروفة

آنذاك – كيف كان أساتذتنا من قرية ، سروهيت ،المجاورة لنا – الذين لانكف عن طلب الرحمة لهم – الأساتذة : عبد العزيز سراج وصلاح عمار ومحمد شرشر يحضرون إلى مدرستنا الأولية بالقرية قبل بدء الدراسة الصباحية بحوالى الساعة يتولون فيها إعادة شرح دروس الحساب واللغة العربية والقرآن والدين لمن يرغب الاستزادة أو التقوية . حتى أن بعضهم بعد إحالته إلى المعاش افتتح فصلا فى بيته للتدريس المجانى لمن يرغب فى تحسين مستواه للحصول على الابتدائية ، فيسهل عليه دخول المدرسة الإعدادية بعد أن تغير نظام التعليم . وكنت تجد السبورة والطباشير فى صدر إحدى غرف بيته الخاص.

كما أننا لايمكن أن ننسى الجدية التى كان يدير بها مدرستنا المرحوم الأستاذ سيد صقر، وكان ناظرنا فى المدرسة الأولية التى تحولت إلى مدرسة ابتدائية مع تغير نظم التعليم ، وحرصه الشديد على مصلحة تلاميذه والارتقاء بالأداء التربوى فى مدرسته . ومع أنه كان من قرية ، سرس الليان ، المجاورة لقريتنا والبعيدة عنها بحوالى سبعة كيلو مترات ، إلاأنه كان من أوائل من يحضرون إلى المدرسة صباحا حتى فى الأيام المطيرة ، أو شديدة البرودة . ورغم السنوات القليلة والسن الصغيرة التى كنت تلميذا فيها لهؤلاء الأساتذة العظماء فى مكانتهم عندنا وفى خلقهم وشخصياتهم، فقد ظللت على علاقة شخصية بكل منهم أزوره فى بيته أو مكان عمله، ويزورنى فى بيتى بالقرية ؛ حتى أصبحت أستاذا بالجامعة، وحتى توفاهم الله واحدا بعد الآخر . وطالما ذكر إسم واحد منهم أمام أحد زملائى الذين تتلمذوا على يديهم لمدة أطول أفاض بالحديث عن فضائله عليه وعلى زملائه ، وعن تشجيعه له، وعن نوادره الطيبة معه أو مع أهله.

أما أساتذتى فى المدرسة الابتدائية ، فلازلت أذكر منهم أستاذى المرحوم محمد عبد الرحمن ، وقد توفاه الله قبل وصوله سن الخمسين ، وذلك بعد تخرجى فى الجامعة ببضع سنين؛ وكان أستاذى فى اللغة العربية ، ونقل من مدرستى الابتدائية بعد انتقالى منها إلى المدرسة الثانوية ففقدت الاتصال به ، وكان قاصرا على وقت التواجد فى المدرسة . وفى المدرسة الثانوية كان أكثر تأثرى بالأستاذ فايز حليم ، أستاذ اللغة الانجليزية ، والأستاذ عبد الحميد طعيمه أستاذ اللغة العربية، وكقروى صغير لم تكن تأتيلى الشجاعة لعقد علاقات شخصية خارج المدرسة مع هؤلاء الأستاذة الكبار ،جدا ، فى نظرنا، والعظماء فعلاً بما يجسدونه من قيم وخلق، وبما يغرسونه فينا من مثاليات، وبما يقومون به من تنمية لشخصياتنا ، وتشجيع لنا، ورفع

لمستويات طموحنا. وكنت - بين زملائى - أنال نصيبا كبيرا من كل ذلك.

لكن -وبكل المقاييس - فإنى لاأشك فى أن حظى وحظ زملائى الذين درسوا معى بقسم الدراسات النفسية - بكلية الآداب- جامعة عين شمس ، فى الخمسينيات من ، القرن الماضى ، كان عظيما. فقد أنشئ القسم فى أوائل الخمسينيات مع بداية إنشاء الجامعة والكلية معا، تحت إشراف ورئاسة رائد عظيم ، وأستاذ كبير علما وخلقا ؛ له من السمعة المحلية والعالمية فى الطب والتحليل النفسى ما لم يؤت لأحد من المصريين حتى الآن ؛ وذلك هو مصطفى زيور(رحمه الله) . وكان تكوينة العلمى فريدا بين أساتذتنا ؛ حيث بدأ بالتخرج فى قسم الفلسفة بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) ، ثم سافر إلى السربون فى باريس فحصل منها على درجة اليسانس فى الفلسفة مرة أخرى، تحول بعدها إلى دراسة الطب فظل بها حتى حصل على درجة الدكتوراة فيها . ومع دراسته للطب وبعدها درس التحليل النفسى فى باريس، فكان أول عربى يحصل على دبلوم التحليل النفسى ، وعضوية الجمعية الدولية للتحليل النفسى . وتنشر له المجلات العلمية بحوثه فى الطب السيكوسوماتى ، حيث كان زيور يعد من بين كبار رواد هذا الفرع العلمى الحديث على المستوى العالمى ؛ وذلك مع بداية الأربعينيات. كما أنه اشترك منذ عام ١٩٤٥ ، مع زميله واستاذنا المرحوم يوسف مراد (أستاذ علم النفس آنذاك بجامعة فاروق الأول - جامعة القاهرة الآن) فى إنشاء ورئاسة تحرير أول مجلة عربية لعلم النفس تحت اسم ، مجلة علم النفس ، ظلت تصدر ثلاث مرات فى العام - عن دار المعارف حتى عام ١٩٥٣ . وكان ينشر فى هذه المجلة مقالات وبحوث باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية ، كبار علماء النفس من عرب وأوروبيين وأمريكيين .كما كانت تنشر ترجمة عربية أو ملخصا لما ينشر بالانجليزية أو الفرنسية . وكانت للمجلة سمعة عالمية كبيرة ؛ مما جعل مجلة «الملخصات السيكلوجية Psychological Abstracts «التى تصدرها جمعية علم النفس الأمريكية، تهتم بنشر ملخصات لما ينشر بها من بحوث.

كان زيور جادا ومخلصا فى إنشاء القسم على أسس سليمة ومتكاملة ، بعيدة عن أى نوع من التعصب لاتجاه علمى معين ؛ يضيق الأفق أو يهدر الموضوعية. وهكذا اختار معاونية للعمل كأعضاء هيئة تدريس بالقسم اختياراً دقيقاً ؛ فضم للقسم أساتذتنا : السيد محمد خيرى، ولويس كامل مليكه، ومصطفى صفوان ، وعبد المنعم المليجى ، وأحمد فائق .

كما إنتدب للتدريس بالقسم أساتذتنا : يوسف مراد ، وسامى محمود على ،

وسيد عبد الحميد مرسى ، وأحمد وجدى ، وعماد الدين فضلى. وبنفس الجدية وسعة الأفق اهتم بوضع المواد العلمية التى تدرس بالقسم بحيث تتكامل لإعداد خريج منفتح على التيارات العلمية الأساسية والمعاونة فى مزج فريد عرف به خريج علم النفس من كلية آداب جامعة عين شمس حتى الآن . فكان الطالب يدرس- على سبيل المثال - مواد : أصول علم النفس ، والقياس النفسى ، والتحليل النفسى، وسيكلوجية الفروق الفردية والجماعية، وعلم نفس الطفل ، وعلم النفس الاجتماعى ، وعلم النفس المرضى، وعلم النفس الكلينيكى ، وعلم النفس الصناعى ، وعلم النفس التجريبى ، وعلم النفس الفسيولوجى، والاحصاء، والانثروبولوجيا، وأسس الفلسفة.

ولم يكن هؤلاء الأساتذة العظماء يدرسوننا العلم فقط، بل كانوا يعطوننا إلى جانبه ، القدوة المثلى من السلوك والقيم ، ومن الحدب على طلابهم وتشجيعهم ورعاية مصالحهم ، ولازلنا حتى الآن نذكر بعضهم وقد حمل الكثير من المراجع من مكتبته الخاصة ليعيروننا إياها ، مما كنا نحتاجه للقراءة أو البحث . كما لازلنا نذكرهم وهم يستقبلوننا فى مكاتبهم أو فى بيوتهم فيهشون لذلك ؛ يفتحون لنا صدورهم فى أبوة حانيه ، وأستاذية رفيعة ؛ نناقشهم ما استغلق علينا من علم ، أو استشكلت علينا من أمور . ولاشك فى أن ما لاقيناه من مساندتهم وتشجيعهم وأبوتهم وأستاذيتهم كان خير عون لنا فى إعدادنا العلمى ، وفى تكويننا الشخصى ؛ رحم الله من رحل عنا منهم ، ومتع الباقين بالصحة وطول العمر.

وبعد تخرجى عام ١٩٥٩ ؛ سجلت لدرجة الماجستر التى حصلت عليها عام ١٩٦٥ تحت إشراف أستاذى مصطفى زيور والسيد محمد خيرى ، وقد ساعدنى فيها - معهما - أستاذاى لويس كامل مليكة وسيد عبد الحميد مرسى. ثم تابعت دراستى للدكتوراه أيضا تحت إشرافهم ومساعدتهم ؛ فحصلت عليها عام ١٩٦٨ . وبعد حصولى على الماجستير عينت بجامعة القاهرة فرع الخرطوم (كلية الآداب) . ولما كنت اتطلع إلى التعيين بجامعة عين شمس ، فإنى لم أتقدم للتعيين مدرسا بفرع الخرطوم ، وبقيت عاما أعمل معيدا رغم حصولى على درجة الدكتوراة ، حتى تعيينى قبل بداية العام الدراسى ٦٩/ ١٩٧٠ بجامعة عين شمس حتى الآن.

وفى أكتوبر من عام ١٩٧٣ سافرت إلى جامعة محمد الخامس بالرباط معارا إلى كلية الآداب والعلوم الانسانية . وكان بها قسم للفلسفة والاجتماع بكلية الآداب حيث كان التدريس مشتركا بين الفلسفة والاجتماع فى السنتين الأولى والثانية ، أما الثالثة والرابعة فينفصل التخصصان عن بعضهما إلى تخصص الفلسفة أو تخصص

الاجتماع ؛ أيهما يختار الطالب . فوجدناها فرصة لإقتراح إفتتاح تخصص ثالث لعلم النفس فى السنتين الثالثة والرابعة ، وقد ووفق على الاقتراح وطلب منا وضع المواد التى تدرس بالسنتين الثالثة والرابعة تخصص علم النفس . وبالفعل أنشئ هذا التخصص ، وظهر قانونه فى الجريدة الرسمية الصادرة فى ١٧ إبريل من عام ١٩٧٤ ، وبدأت الدراسة الرسمية بالسنة الثالثة علم النفس مع العام الدراسى التالى مباشرة (عام ١٩٧٤/ ١٩٧٥) . ومع أنتهاء اعارتى للمغرب فى عام ١٩٧٧ ، كانت هناك دفعتان قد تخرجتا من قسم علم النفس ، تحملان الشهادة الجامعية فيه.

وفى عدد مايو من عام ١٩٧٨ تنشر المجلة الأمريكية المشهورة Psychological Abstracts، ملخصا لبحثى عن كيفية إدراك المكفوفين للأحلام. وفى عدد يونيو من نفس العام تنشرملخصا لبحث آخر لى عن سيكلوجية العامل المشكل فى الصناعة.

ويعقد المؤتمر الدولى الثانى والعشرون لعلم النفس فى يوليو من عام ١٩٨٠ بمدينة ليبزج بألمانيا (الشرقية وقتذاك) . ولعل اختيار مدينة ليبزج لعقد المؤتمر بها إحياء لذكرى مرور مائه عام على إنشاء ڤونت Wundt لمعمل علم النفس بجامعة ليبزج ، حيث كان أول معمل لعلم النفس فى العالم سنة ١٨٧٩ ، إذ نقل علم النفس نقلة كيفية كبرى ،جعلت كثيرا من علماء النفس يؤرخون لولادة علم النفس الحديث بهذه السنة . ثم بعدها بدأ ينتشر إلى دول العالم وجامعاته أسوة بجامعة ليبزج ، وكان مؤتمر ليبزج هذا أول مؤتمر عالمى أحضره. وهناك قابلت العالم الأمريكى ، إدوين فليشمان Edwin Fleishman ، وكان وقتها رئيس مجلس إدارة ، الجمعية الدولية لعلم النفس التطبيقى "International Association of Applied Psychology"، وهى أكبر جمعية دولية لعلم النفس التطبيقى . وكان أول ما نشرت من كتب هو كتاب ، قراءات فى علم النفس الصناعى والتنظيمى ، وكان كتابا أشرفت على تأليفه وشاركت فيه ، وقد نشرته عام ١٩٧٣ . وكان فى آخر كل بحث نشر فيه ملخص باللغة الإنجليزية من صفحتين إلى أربع صفحات تقريبا؛ بهدف تعريف القارئ الأجنبى ببعض البحوث الميدانية الهامة التى تجرى فى البلاد العربية فى ميدان علم النفس الصناعى . وعندما التقيت بفليشمان فى هذا المؤتمر أهديته نسخة من الكتاب. وقد استهوتنى المؤتمرات العلمية العالمية بعد ذاك ، خاصة وأنى قد أعرت من عام ١٩٨١ حتى عام ١٩٨٥ إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة ؛ مما وفر لى فائضا من المال يسمح بالانفاق على حضور مثل هذه المؤتمرات . وفى عام ١٩٨٢ بأدنبره باسكتلندا؛

اشتركت فى المؤتمر الدولى العشرين لعلم النفس التطبيعى الذى عقدته « الجمعية الدولية لعلم النفس التطبيقى» وهى تعقد مؤتمرها الدولى كل أربع سنوات . وقد عرضت فى هذا المؤتمر بحثًا عن « علم النفس الصناعى فى مصر: الماضى ، والحاضر ، والمستقبل ». والتقيت هناك بفليشمان الذى سألنى لماذا لم أرد على الخطاب الذى أرسله إلى من حوالى عام، ولم يكن الخطاب وصلنى ، فاعتذرت بذلك وعلمت منه أنه أراد ترشيحى لعضوية مجلس إدارة الجمعيه الدولية لعلم النفس التطبيقى ، وأن الانتخابات القادمة ستكون فى أكابولكو بالمكسيك فى صيف عام ١٩٨٤ أثناء انعقاد المؤتمر الدولى الثالث والعشرين لعلم النفس . ولقد حضرت هذا المؤتمر بالفعل مشاركا ببحث ألقيته عن التصوير السمعى كعملية فى إخراج أحلام المكفوفين . وفزت فى انتخابات الجمعية الدولية لعلم النفس التطبيقى بعضوية مجلس إدارتها مع زميل صينى وآخر أسبانى. ولقد ظللت منذ ذلك الحين عضوا بمجلس الادارة حتى عام ١٩٩٤ .

وكان يحضر مؤتمر المكسيك زميل وصديق فاضل هو فؤاد أبو حطب، حيث التقيت به، وقضينا وقتا نتحدث فيه عن هموم علم النفس ومتخصصيه وجمعيته فى مصر . وكنا مأخوذين بالتنظيم الرائع لهذا المؤتمر الذى عقدته المكسيك ، وهى إحدى دول العالم الثالث . وأخذنا نحلم لهذا التخصص وجمعيته ونشاطه فى مصر التى لاينقصها المتخصصون ، وبها جمعية الدراسات النفسية التى عرفت بتاريخها المشرف منذ نشأتها فى عام ١٩٤٨ ، حيث كانت إحدى الجمعيات العشرين التى قامت وشاركت فى تأسيس الاتحاد الدولى لعلم النفس عام ١٩٥١ جنبا إلى جنب مع أمريكا وانجلترا وفرنسا وإيطاليا واليابان وغيرها؛ والذى كان مؤتمر المكسيك هذا هو مؤتمره العالمى الثالث والعشرين . وكان يشاركنا حديثنا وأحلامنا زميل وصديق ثالث حضر المؤتمر هو سمير عبد العزيز فرج . وقد تحققت بداية حلمنا بعقد المؤتمر السنوى لعلم النفس فى مصر بعد أن رأس فؤاد أبو حطب الجمعية المصرية للدراسات النفسية. وبالفعل عقدت الجمعية مؤتمرها الأول بالاشتراك مع كلية التربية جامعة حلوان فى ابريل عام ١٩٨٥ ، ولم يكن قد مضى عام على مؤتمر المكسيك .

وكان هذا المؤتمر عيدا لعلم النفس فى مصر ، وحشداً كبيراً لعلمائه ومتخصصيه من كافة الاتجاهات والتخصصات ، وألقيّ فيه ، مؤسس الجمعية وأول رئيس لها ، أستاذنا المغفور له عبد العزيز القوصى بحثا قيما طريفا، كان إفتتاحية كتاب بحوث المؤتمر المجمعة بعنوان : « خمسون عاما مع علم النفس فى مصر» ولم

يسعدنى الحظ بحضور هذا المؤتمر حيث كنت معاراً لجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

ولقد تتابعت المؤتمرات السنوية للجمعية المصرية للدراسات النفسية سنويا ، حتى الآن ، مع إضافة مؤتمر آخر يعقد منذ ثمانى سنوات تحت إسم « المؤتمر العربى لعلم النفس » بمبادرة من الجمعية المصرية وبعض زملاء التخصص من البلاد العربية الشقيقة. ونتطلع لعقد مؤتمر دولى فى مصر قريبا إن شاء الله ، مثل مؤتمر أكابولكو بالمكسيك .

وفى عام ١٩٨٦؛ أشترك مع ٢٤ زميلا من علماء النفس فى العالم ، يمثل كل منا واحدة من دوله ، ومنها الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا وروسيا وكندا واستراليا وإيطاليا واليابان والسويد والنرويج فى تأسيس لجنة « علم النفس والسلام ومقاومة الحرب النووية بالاتحاد الدولى لعلم النفس "Committee of Psychologists for Peace and against Nuclear War of the Intrnational Union of Psychological Science (I.U.Psy.S) ". والتى أصدرت أول منشوراتها فى اكتوبر عام ١٩٨٦ .

ويختارنى مجمع اللغة العربية بالقاهرة خبيرا لعلم النفس فيه ، وذلك منذ عام ١٩٨٦؛ حيث أشترك فى وضع مصطلحات علم النفس به . وفى عام١٩٨٧ يشكل «مكتب الأمم المتحدة فى فيينا لشئون التنمية الاجتماعية والشئون الانسانية» بالاشتراك مع « مركز أبحاث مكافحة الجريمة » بوزارة الداخلية السعودية هيئة علمية للقيام ببحوث نفسية اجتماعية مقارنة عن المخدرات فى دول أفريقية وأسيوية وأوروبيه؛ فكنت الثانى فى هذا التشكيل لهذه الهيئة التى ضمت خمسة آخرين من الزملاء من أمريكا والسعودية والسودان ومصر؛ هم : حمد عبد الكريم المرزوقى ، وعبد الله عبد الغنى صيرفى ، وعبد العاطى أحمد الصياد ، وشرف الدين الملك ، وتونى فيشيكا . وقد أتممنا بحث « التورط فى المخدرات : دراسة نفسية اجتماعية فى مصر » ونشر تقريره عام ١٩٩٠ فى ٥٦٣ صفحة .

ومثل كثير من زملائنا متخصصي العلوم الانسانية نلحظ إنهياراً فى كثير من القيم الإيجابية المثلى ، التى على أكتافها تنهض الأمم وتقوى ، وأنشغل كثيرا بهذا الهم العام ، فأنتهز الفرص لكتابة مقالات أو إلقاء بحوث ومحاضرات أنبه فيها إلى هذا الانهيار الخطير. وأطرح لتوصيف بعضه مصطلحا جديدا هو « تليف الضمير » قياسا على تليف الكبد كمرض أكثر انتشارا بين المصريين وأكثر خطورة على حياة الفرد ،

قاصدا بهذا المصطلح أن هناك بعض الأفراد الذين أصيب ضميرهم بالتلف والعطب، ولم يعد يؤدى وظيفته كما ينبغى ، حتى أصبح ضميرهم كالليفة المملوءة بالثقوب والفجوات بحيث يمر منها الشئ أو الأمر دون أن تصفيه من شوائبه وتقوم بتنقيته ليصبح صالحا ومفيدا . وبالمثل ، فإن الضمير عندما يتلف ويفسد يمرر ويسمح بأى سلوك مهما كان فاسدا أو مدانا، فيظهر خبث النفوس دون وازع من ضمير يوجهها نحو الخير ، ويحول بينها وبين الشر. وأطرح هذا المصطلح لأول مرة عام ١٩٩٤ فى عدد إبريل من مجلة دراسات نفسية فى مقال بعنوان :« تأملات فيما طرأ على الشخصية المصرية من سلبيات » . وفى عام ١٩٨٨ اكتب عن « المثقف وتجسيد القدوة » فى كتابى المجمع « علم النفس وقضايا العصر » . وفى عام ١٩٨٩ أنشر مقالا عن « الأستاذ الجامعى : الانسان والسلوك » فى عدد يوليو – سبتمبر من « مجلة علم النفس » . وفى مارس من عام ١٩٩٩ أعود إلى الأخلاقيات والقيم التى ينبغى أن يتحلى بها أستاذ الجامعة فأقدم بحثا عن «الاستاذ الجامعى والميثاق الأخلاقى » فى ندوة « معايير الأعراف والقيم الجامعية » التى عقدتها جامعة القاهرة . وفى عدد يناير عام ١٩٩٧ من « مجلة دراسات نفسية » أنبه إلى خطورة السلبيات المدمرة لتفشى البيروقراطية فى مصر فى مقال بعنوان « فى قبضة البيروقراطية » . وفى يناير من عام ١٩٩٨اكتب فى « مجلة دراسات نفسية » مقالا بعنوان : « الامتحان الموضوعى الهام فى مادة : (سيكلوجيا الإرهاب والسلام) » أحلل فيه عوامل الإرهاب وأنبه إلى خطورته على المجتمع وعلى تشويه صورة المسلمين فى الخارج ؛ وأدلل على أن الإسلام الحق يقاوم الإرهاب ويدينه. وفى يناير (أيضا) من عام ١٩٩٩ اكتب فى «مجلة دراسات نفسية » مقالا بعنوان «عن قوة المستغلى وتهافت المفتقر : رؤية نفسية» أبين فيه أن إحساس الفرد بالحاجة يجعله فى موقف الضعف ، وقد يؤدى به إلى التذلل والمهانة وبيع كرامته وإنسانيته اللتين لا يعادلهما ما يسعى إليه من مكاسب ؛ هى فى نهاية الأمر شكلية وليست جوهرية . وأن القوة الحقيقة للإنسان بما هو إنسان تكمن فى فلسفة تقوم على الاستغناء. ولعلى كنت ألوح إلى هؤلاء الذين يمرغون كرامتهم تحت أقدام المسئولين بحثا عن ترقية أو جائزة، أو منصب أو منفعة ؛ وهى ظاهرة سلبية منتشرة فى أجهزتنا الإدارية والوظيفية إلى حد كبير ؛ وللأسف ؛ كثيرا ماينجح من يلجأون إليها فى الوصول إلى مبتغاهم .

وأرى فى الوفاء قيمة إنسانية نبيلة ، خاصة من جانب التلميذ لأستاذه ؛ ولذا ، فإنى كنت أبادر أحيانا ، وأرحب أخرى فى المناسبات التى تتاح لى للكتابة أو

للحديث عن أساتذتى الأجلاء فكنت أكتب المقالات فى المجلات العلمية والثقافية وألقى الكلمات فى الندوات ، وهم أحياء لتكريمهم ، أو بعد رحليهم فى ذكراهم ، إعترافا بفضلهم ، وتقديرا وبيانا لاسهاماتهم وعطائهم لعلمهم ومجتمعهم . وكنت أهتم كثيرا بوضع عنوان المقال أو الحديث ليدل عليه . وهكذا ؛ فقد هنأت أستاذى مصطفى زيور فى حياته بمناسبة حصوله على جائزة الدولة التقديرية بمقال نشرته بالعدد الثامن من « مجلة علم النفس » (اكتوبر – ديسمبر ١٩٨٨) تحت عنوان : « الأستاذ الدكتور مصطفي زيوار : عقل عالم وقلب إنسان » . وتصدر « مجلة أدب ونقد » ملفا عن زيور على عددين متتاليين ، فأنشر فى الأول منهما (سبتمبر ١٩٩٤) مقالا آخر تحت العنوان نفسه مع إضافة (عود على بدء) . وتدعونى الهيئة المصرية العامة للكتاب فى معرض القاهرة الدولى للكتاب لألقى عن زيور محاضرة يوم ٢٢ يناير ١٩٩٥ . ويطلب منى « المؤتمر الثانى لعلم النفس فى مصر » أن ألقى بحثا عن أستاذنا المرحوم الدكتور السيد محمد خيرى إحياء لذكراه ؛ فأختار له عنوانا : « الأستاذ الدكتور السيد محمد خيرى وثلث قرن فى خدمة علم النفس : ترحم فى ذكرى » ، وكان ذلك فى إبريل من عام ١٩٨٦ . ويطلب منى المجلس الأعلى للثقافة – كتابة وإلقاء كلمة عن أستاذنا الدكتور لويس كامل مليكه فى « ندوة تكريم رواد علم النفس والتربية » فى الخامس من مايو عام ١٩٩٦ ، فأضع لها عنوانا : « الأستاذ الدكتور لويس كامل مليكه وجدية الالتزام » . ويحصل أستاذنا مليكه على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٩٧ ، فأعيد نشر البحث السابق فى « مجلة دراسات نفسية » فى نفس العام بمناسبة فوزه بالجائزة ، وذلك فى صدر المجلة ؛ كتكريم وتحية له بهذه المناسبة ؛ وكنت آنذاك رئيسا لتحريرها .

ومنذ عام ١٩٩٢ تختارنى المؤسسة اليابانية للعلم والتكنولوجيا باعتبارها مانحة لأكبر جائزة علمية عالمية تمنحها اليابان سنويا لإثنين من العلماء المتميزين من العالم فى تخصصين علميين يحددان سنويا ؛ كأحد المحكمين العالميين لهذه الجائزة.

وتصدر « دار سعاد الصباح : القاهرة – الكويت » عام ١٩٩٣ « موسوعة علم النفس والتحليل النفسى » التى قمت بالاشراف عليها ومراجعتها كما شاركت فى تأليفها . وكانت هذه الموسوعة فى حاجة إلى دار نشر ضخمة تهتم بنشر الثقافة العلمية قبل الاهتمام بالربح ؛ حتى تقوى على تكلفتها وإخراجها بالشكل اللائق ، وبالعدد الكبير . ولقد رأيت أن أضمن الموسوعة – مع ما تحويه من تعريفات

للمصطلحات العلمية – سيرا لحياة وإسهامات كثير من العلماء العرب والأجانب ؛ القدامى والمحدثين الذين أسهموا فى تطوير علم النفس على المستوى العالمى أو العربى إسهاما يعتد فعلا به ، بعيدا عما تخدعنا به الصحافة ، ووسائل الإعلام ، والمجاملات الشخصية من دعايات وأقاويل مبالغ فيها. ولاشك فى أن روح الأخوة والإخلاص المتبادل من زملائى : شاكر قنديل ، وحسين عبد القادر ، ومصطفى كامل كان لها الفضل الكبير فى هذا الانجاز . وفى عام ١٩٩٤ يتم أختيارى رئيسا للجنة وضع «الميثاق الإخلاقى للمشتغلين بعلم النفس فى مصر» من قبل « الجمعية المصرية للدراسات النفسية » و«رابطة الاخصائيين النفسيين المصرية » بصفتهما الممثلتين للمتخصصين والمشتغلين بعلم النفس فى مصر.

وللتاريخ ؛ فقد كانت هناك محاولة سابقة لم تتم لسبب أو لآخر طرحت فى عام ١٩٨٨ ، وشكلت لها لجنة فى المؤتمر الرابع لعلم النفس فى مصر ، الذى عقدته الجمعية المصرية للدراسات النفسية بالاشتراك مع كلية الآداب بجامعة عين شمس .

وقد طلب منى تكثيف الجهد والعمل لإعداد هذا الميثاق والانتهاء من وضعه لشدة الحاجة إليه . ولعل أكثر من تحمسوا وعاونوا فى هذا الميثاق من أعضاء اللجنة هم أصدقائى وزملائى : فؤاد أبو حطب ، وصفوت فرج ، وعبد الحميد صفوت ابراهيم. وقد وفقنا الله فى الانتهاء من وضع الميثاق فى عام ١٩٩٥ ، بعد أن نوقشت وعدلت ثم أقرت بنوده من جانب أعضاء الجمعية والرابطة ثم مجلسي إدارتيهما على مدار عام كامل ، ثم تم نشره فى « المجلة المصرية للدراسات النفسية » التى تصدرها «الجمعية المصرية للدراسات النفسية » ، وفى « مجلة دراسات نفسية » التى تصدرها «رابطة الاخصائيين النفسيين المصرية » وذلك فى نفس العام . وكان هذا النشر شرطا لاعتماد الميثاق.

وطوال عضويتى بمجلس إدارة « رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية » (١٩٩٦ – ١٩٩٩)، اختارنى زملائى رئيساً لتحرير مجلتهم « دراسات نفسية » ، وهى المجلة ذات السمعة العربية والعالمية المعروفة .

ومع عام ١٩٩٦ ؛ يختارنى « المجمع العلمى المصرى Institut D' Egypte » عضوا به (مدى الحياة) . وهو المجمع الذى أنشأه نابليون فى عام ١٧٩٨ بعد المجمع العلمى الفرنسى المعروف بالأكاديمية الفرنسية بسنوات قليلة . ويضم المجمع حاليا حوالى « ١٥٠ » عضوا يمثلون العلماء المصريين المتميزين فى مختلف التخصصات

العلمية (من مجالات العلوم والطب والكيمياء والهندسة والزراعة والادارة والعلوم الانسانية ...) ، ومنهم بعض العلماء العرب غير المصريين وبعض الأجانب ، وإن كانوا قلة .

وتنشئ لبنان جائزة عربية باسم « مصطفى زيور » ؛ تشترك فيها « الجمعية اللبنانية للدراسات النفسية » ، و « مركز الدراسات النفسية » ، و « مجلة الثقافة النفسية المتخصصة » ، وتمنح سنويا منذ تأسست عام ١٩٩٥ لأحد العلماء العرب المتخصصين فى علم النفس أو الطب النفسى من ذوى الاسهامات العلمية المتميزة ومن طوعوا العلم لخدمة مجتمعهم العربى ؛ فأفوز بها عن عام ١٩٩٨ . وتنشئ « مجلة الثقافة النفسية المتخصصة » اللبنانية ، بابا جديدا من أبوابها بعنوان : « شخصية العدد » تفتتحه بكلمة عنى فى عدد إبريل عام ١٩٩٨ . وفى عام ١٩٩٨ أيضا ترشحنى كلية الآداب بجامعة عين شمس لجائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية ، والله الموفق.